وزارة التربية والتعليم

الإدارة العامة للثقافة

إدارة نشر التراث القديم

المطرب من أشعار أهل المغرب

لابن دحية

ذى النسبين أبى الخطاب عمر بن حسن

المتوفى سنة ٦٣٣ هـ

بتحقيق

الأستاذ إبراهيم الأبيارى

مدير إدارة نشر التراث القديم

الدكتور حامد عبد المجيد

وكيل إدارة نشر التراث القديم

الدكتور أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم

راجعه

الدكتور طه حسين

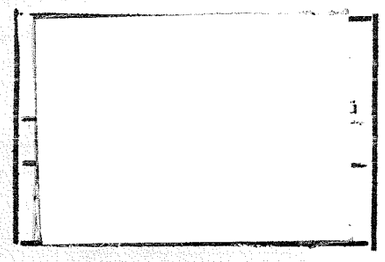

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥٤

الإهداء

هذا كتاب يعنى أُمتين : العرب والأسبان ، إذ هو يعرض حقبة مشتركة من تاريخهما .

وكم وددْنا لو نَقلناه إلى اللغة الأسبانية ، ولكن الأسباب لم تُسعف ، فلا أقلَّ من أن نُهديه إلى الأُمة الأسبانية عن الأُمة العربية ، توثيقاً لصلة قديمة ، وتمكيناً لثقافة نحن وإياهم فيها قَسيمان .

إبراهيم الابيارى

تعريف بالمؤلف والكتاب

بقلم

ابراهيم الابيارى

الى ذلك التراث الخالد الذى نرجو له بعثاً وشيكا يلم شعثه ، ويُرمّ مُرْتثّه ، ونحفظ فيه للأبناء موروث الآباء ، يفطّنهم ويعظهم ويروّيهم : نهدى جهدًا ربما ردّ النفوس إلى طمأنينة بأنّا مُدرِكون .

تمهيد :

كان ذلك منذ أعوام نَزرة خلتْ حين سألنى صديقاى : حامد وأحمد ، أن نتضامّ على تحقيق « المطرب » . وكنت بين إيمان بنَفْع الكتاب حافز ، ورأى بآتّداع الخطيات الفردة صارف . فما أكثر ما يستهدف المعنّى بها . ولكن سَرعان ماغلب الإيمانُ الرأى ، ووجدنا فى مشاركة المؤلف غيرَه ، أخذا وإعطاء ، ما يعوّضنا هَوْنًا مَا عمّا نفقده للأصل من أشباه .

وصَرف الدهر فإذا أنا بمنأًى عن الزميلين بعيد ، وإذا الشُّقة الفاصلة ، دونها تبادلُ العون فى يُسر وخفّة . وتمتد الأيام والكتاب حَبيس طَبْع ، على مُمضّة منّا ومكروهة .

ثم يأذن الله فيتّصل ما آنقطع ، ويُكتب «للمطرب» أن يَظهر بعدما تغيّباه .

وإنها لمعذرة يستوحيها قومٌ من أمر الكتاب على موصولة . فما أوجبَ العذر علينا لهم ، وما أحراهم أن يتبيّنوه .

ابن دحية

نسبه :

هو ذو النسبين — فيما يزعم — أُمه — كما يقول ابن خلكان — أَمةُ الرحمن بنت أبى عبد الله بن أبى البسّام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

وأما هو ، فعُمر بن الحسن بن علىّ بن محمد بن الجُمَيّل[1] بن فَرْح[2] بن خَلف ابن قُومس[3] بن مَزْلال[4] بن مَلَال[5] بن بَدر بن أحمد بن دَحْية[6] بن خَليفة ابن فَرْوة الكَلْبىّ الأندلسى البَلَنسى الدانى . وكان يكنى أبا الخطّاب ، وأبا الفضل ، وأبا حَفص ، وأبا على .

وهكذا يجعل نسبه إلى «دحية» الصحابى المعروف ، شبيه جبريل عليه السلام، وكان ينزل فى صورته . كما يرفع نسبه من أُمه إلى الحسين عليه السلام ، فوالدة «الجميل» هى ابنة الشريف أبى البسام العلوى الحسنى ، كما ترى .

وإلى هذا يشير ابنُ دحية فى عينيته التى مَدح بها السلطانَ الكامل :

بقيتَ لعبدٍ جَدُّه دحْيةُ الذى ... يُشابه جبريلٌ له ويُضارِعُ
وجدَّتُه الزَّهراءُ بنتُ محمد ... عليه السلامُ الدائم المُتتابع

(١) بضم الجيم وفتح الميم وتشديد الياء ، تصغير « جمل » .
(٢) بفتح الفاء وسكون الراء .
(٣) بضم القاف وفتحها وسكون الواو وكسر الميم .
(٤) بفتح الميم وسكون الزاى .
(٥) بفتح الميم وتشديد اللام ألف .
(٦) بفتح الدال المهملة وكسرها وسكون الحاء .

والمؤرّخون يكادون يُجمعون على بُطلان نسبته إلى « دحية » ، فالعماد الحنبلى فى «شذرات الذهب» . حين تَرجم له يقول : «ودخل دمشق فمال إليه الوزيرُ ابن شُكر، فسأله أن يجمعَ بينه وبين الشيخ تاج الدين زيد بن الحسن الكِندىّ . فاجتمعا وتناظرا وجرى بينهما البَحْث ، فقال له الكِنْدىّ : أخطأتَ ! فسفه عليه . فقال الكِندىّ : أنت تكذب فى نَسبك إلى دحية الكَلبى ، ودحية بإجماع المحدِّثين ما أَعقب، وقد قال فيك ابن عُنين : [1] .

دحيةُ لم يُعْقِب فكم تَنْتمى ... إليه بالبُهتان والإفْك
ماصَحّ عند الناسِ فيه سِوَى ... أنّك من كَلْب بلا شكّ

والذَّهبى فى «تذكرة الحفاظ» حين ينقلُ هذه النِّسبة، يُعقِّب عليها بما يُفيد تَشكّكه فيها ، فيقول : « يذكر أنه من وَلد دحية الكلبى، وأنه سِبط أبى البسّام»[2] .

ولاَ يبعُد قولُ ابن الأبّار عن هذا .

ويقول ابنُ حَجر العَسقلانى فى « لسان الميزان » بعد ما ساق نَسبه : «فهذا نسب باطل بوجوه :

أحدها : أنّ دحية لم يُعقب .

الثانى : أنّ على هؤلاء لوائحَ البربرية .

وثالثها : بتقدير وجود ذلك ، قد سَقط منه آباء ، فلا يمكن أن يكون بينه وبينه عشرة أنفس » .

(١) هو شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصارى الدمشق ، ولد سنة ٥٤٩ هـ ، وكانت وفاته سنة ٦٣٠ هـ وله ديوان مطبوع بتحقيق خليل مردم بك .
(٢) الذى فى التذكرة : « أبى البشام » .

ويعود الذَّهبي فى « سير أعلام النبلاء » بعد أن ذَكر هذا النَّسب السابق جُملةً ، فيقول : «هكذا ساق نسبه ، وما أبعده من الصحة والاتصال ، وكان يكتب لنفسه : ذو النِّسبتين ، بين دحية والحسين » .

ويقول: « ونسبه شيء لاحَقيقة له ، قرأتُ بخطّ ابن مَسْدى : كان أبوه تاجراً يُعرف بالكابى ، بين الفاء والباء ، وهو اسم موضع بدانية » .

ويقول ابن مَسْدى أيضا : «رأيت الحُذّاق من علماء المغرب لا يزيدون على ذِكْر جدهم « فرح » إلا التعريف ببنى الجميل . وقد كان أخوه أبو عمرو عثمان يلقب بالجميل بن الجميل » .

ويقول ابن حجر : « والجميل : تصغير للجمل ، بالعبارة المغربية » .

ويقول ابن عبد الملك فى الصلة : «وكان يسمى نفسه ذا النسبين ، وهو مغربى من أهل سبتة . وأظنه كان قاضيها » .

وثَم شيء يتصل بالحديث عن نسبه ، وهو الحديث عن توثيقه فى روايته . فكلاهما يُلقى ضوءاً على الآخر ويَعضُده . ومَن يجوز عليه التَّخليط فى واحدة يُزَنّ بها ، حرىّ بالتُّهمة غيرُ مُبرَّأ منها مع الثانية .

نسمع لِسبْط ابن الجوزى يقول عنه : « كان فى المحدِّثين مثل ابن عُنين فى الشعراء ، يقع فى أئمة الدِّين ، ويزيد فى كلامه ، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه. وكان الكامل مُقبلاً عليه ، فلما انكشف حالُه أعرض عنه ، وأخذ منه دار الحديث وأهانه » .

ويقول ابنُ واصل : « وكان أبو الخطّاب مع فَرط معرفته بالحديث متَّهما بالمجازفة فى النقل ، وبلغ ذلك الملكَ الكامل ، وقد بنى له دار الحديث بالقاهرة ،

فأمره أن يعلِّق شيئًا على أحاديث الشِّهاب ، فعلَّق كتاباً تكلّم فيه على أحاديثه وإسناده ، فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد حين : قد ضاع منّى ، فعلِّقْ لى مثلَه . ففعل ، فجاء فى الثانى بمُناقضة الأول . فعلم السلطان صحّة ما نُقل عنه . وعَزله من دار الحديث ، ثم ولّى أخاه أبا عمرو عثمان » .

وينقل الدبلجى أحمدُ بن علىّ صاحب « الفلاكة والمفلوكون » : « قال ابنُ نقطة : « كان يدعى أشياء لا حقيقة لها . ذكر لى أبو القاسم بن عبد السلام ، وهو ثقة ، قال : نزل عندنا ابن دحية ، فكان يقول : أنا أحفظ صَحيح مُسلم والترمذى ، فأخذت خمسة أحاديث من الترمذى ومثلها من المسند ومثلها من الموضوعات ، فجعلتها فى جزء ، ثم عرضت عليه حديثا من الترمذى . فقال : ليس بصحيح . وآخر فقال : لا أعرفه . ولم يعرف منها شيئا . فأفسد نفسه بذلك » .

ويَروى ابنُ خلِّكان ، وهو يتحدث عن الأسعد بن مماتى : « وكان الحافظ أبو الخطاب بن دحية ، المعروف بذى النسبين رحمه الله تعالى ، عند وصوله إلى مدينة إربل ، ورأى اهتمام سُلطانها الملك المعظَّم مظفّر الدين بن زين الدين بعمل مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، صنّف له كتاباً سماه : التنوير فى مدح السيراج المنير . وفى آخر الكتاب قصيدة طويلة فى مَدح مظفَّر الدِّين ، أولها :

لولا الوشاةُ وهمُ أعداؤنا ما وَهَوا

وقرأ الكتاب والقصيدة عليه . وسمعنا نحن الكتاب على مظفَّر الدين فى شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، والقصيدة فيه ، ثم بعد ذلك رأيت هذه القصيدة بعينها فى مجموعة منسوبة إلى الأسعد بن مماتى المذكور ، فقلتُ : لعل الناقل